



فجأة تحولت معركة تحرير الرقة السورية من تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش)، إلى أولوية عاجلة لواشنطن، بعدما كانت ولغاية زيارة وزير الدفاع الأميركي، آشتون كارتر، الأخيرة إلى تركيا والعراق، مهمة مؤجلة، على الأقل إلى ما بعد معركة الموصل.

برز التحول حين أشار كارتر قبل عودته إلى واشنطن، إلى ضرورة خوضها "بالتدخل" مع عملية الموصل، هكذا انتقل الحديث عن معركة الرقة إلى الواجهة. بعد ذلك تولت القيادات العسكرية الأميركية المعنية التأكيد على قرب موعد انطلاقها، وتبرر الإدارة الأميركية قرارها بأن "داعش" يخطط من "عاصمته"، حسب معلومات استخباراتية، "العمليات في الخارج". وهو الأمر الذي يقتضي طرد منها لإحباط خططه.

تحضير للعمليات:

صحيح أن تنظيم "داعش" ينوي التحضير لعمليات من هذا النوع، سواء من الرقة أو الموصل، أو من أي مكان آخر، لكن اقلاعه من "عاصمته" لا يضمن الحماية من اعتداءاته اللاحقة. وبالتالي إن الذريعة التي تطرحها الإدارة الأميركية لا تمنع وجود حسابات أخرى لديها تدفعها إلى التدخل في الرقة.

ويكشف السياق الذي جاء فيه التلویح الأميركي بضرورة خوض معركة الرقة عن الحسابات التي حكمته، المحلية والانتخابية، والخارجية، والتي تتجاوز مسألة الوقاية من الاعتداءات المحتملة في المستقبل، على الرغم من أهميتها.

لقد جاء قرار الرقة في سياق توارات روسية-أمريكية وكذلك أميركية-تركية، وتركية-كردية. كما تردد في واشنطن أن هذا التوتر الأخير كان ماثلاً أثناء لقاء كارتر مع القيادة العراقية خلال زيارته لبغداد، بسبب الخلاف الذي سادها حول الدور التركي في معركة الموصل، وحول الدور الإيراني.

التأزم بين واشنطن وموسكو بشأن حلب أدى دوره في التعجيل على ما يبدو بالقرار، و تعرضت الإدارة الأمريكية لضغوط وانتقادات كثيرة. كما توالى المأخذ عليها من باب أنها بدت كمن يكتفي بالتفرج على تدمير المدينة الثانية في سوريا وبترك الساحة خالية لروسيا، في ضوء ذلك، كان لا بد لها من القيام بخطوات تحقق، لو نجحت، أكثر من هدف في الوقت نفسه: تكلل نهاية حكم الرئيس باراك أوباما بإنجاز يتمثل بهزيمة "داعش" في المدينتين العراقية وال叙利亚، وتثبت أن إدارة الرئيس الأميركي لديها بالفعل "خطة بديلة" في سوريا. بالإضافة إلى ذلك، بإمكانها أن تتحقق بهذه الخطوات بعض التوازن مع الروس.

صدام روسي أمريكي:

وتبدو الإدارة الأمريكية عازمة على المضي في هذا التوجه، على الرغم من المحاذير الكثيرة. إذ أن سوريا مستبعدة من عملية الرقة. وهناك تخوف من صدام أمريكي-روسي في ظل تزايد التوتر بين الجانبين. واحتمال كهذا يبقى مطروحاً لا سيما أن الروس أرسلوا المزيد من التعزيزات العسكرية البحرية والجوية إلى سوريا.

وتحركاتهم تشير إلى وجود نية لديهم للتصدي وللهيمنة على الأجزاء السورية. وقد ثار مسألة السيادة السورية بوجه العمليات الجوية الأمريكية، كما أن آلية تفادي الاحتكاكات الجوية فوق سوريا والتي توافق الجانبان الأميركي والروسي على وضعها موضع التنفيذ، بدت أخيراً غير منتظمة بالصورة المطلوبة. وقبل أيام تم تجنب مثل هذا الاحتكاك في آخر لحظة. كذلك، هناك التوتر الأميركي-التركي الذي لا يزال يتفاعل ولو تم ضبطه حتى الآن. وما يعكس ذلك، تواли الاتصالات على أعلى مستوى لاحتواء التباينات والحوافل دون وقف التنسيق المشترك. وفي هذا الصدد، أجرى الرئيسان الأميركي، باراك أوباما، والتركي رجب طيب أردوغان، محادثات هاتفية يوم الأربعاء الماضي.

وتشدد واشنطن على أهمية الحوار التركي-العربي والتنسيق مع بغداد حول دور أنقرة في معركة الموصل. بل تحذر ضمناً من عواقب "العمل الانفرادي غير المرغوب به حالياً"، كما قال المتحدث باسم وزارة الدفاع الأمريكية، جيف دايفيس، وهو تصريح يحمل رسالة موجهة إلى تركيا.

وتشدد إدارة أوباما على وجوب وقف العمليات التركية ضد القوات الكردية في سوريا، والتي تنوی واشنطن إشراكها بشكل أو آخر في عملية الرقة. لكن تركيا لا تبدي ارتياحاً تجاه هذا الأمر، أياً تكون طبيعة دور القوات الكردية في سوريا وفي معركة الرقة.

تضارف بين أنقرة وواشنطن:

وفي هذا السياق، تتزايد حالة النفور بين أنقرة وواشنطن. والبعض يطالب بضرورة التخلّي عن قاعدة أنجرليك العسكرية ونقل خدماتها الأمريكية إلى إقليم كردستان العراق. وعلى الرغم من أن خياراً كهذا يبدو مستبعداً في الوقت الراهن، إلا أنه يؤشر إلى مدى التباعد بين أنقرة وواشنطن.

وثمة اعتقاد بأن الإدارة الأمريكية تمارس هذا التشدد كورقة ضغط على أردوغان الذي، لن ينجح، وفق تقديراتها، في صياغة علاقات استراتيجية بديلة مع روسيا، لأسباب كثيرة، تاريخية وعسكرية وجيوسocialisية.

في المحصلة، من غير الواضح ما سيؤول إليه الوضع في كل من العراق وسوريا بعد معركة الموصل ومعركة الرقة، على الرغم من تطمئنات وزارة الدفاع الأمريكية (بنتاغون). وهو الأمر الذي يثير حالة من القلق لدى أوساط مختلفة تخشى المزيد

من الفوضى الإقليمية.

العربي الجديد

المصادر: